

الفصل السابع

الأغذية والأدوية

يقول المجوسي¹: «إن علم الطب يمكن أن يقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول هو علم «الأشياء الطبيعية»، والثاني هو علم «الأشياء غير الطبيعية»، والثالث هو علم «الأشياء خارج الطبيعية».

يقصد «بالأشياء الطبيعية» العناصر والأمزجة والأخلاط والقوى والأرواح... إلخ أي في الواقع كل ما يمثل موضوع علم وظائف الأعضاء الذي حاولنا وصفه في الفصل الرابع. «الأشياء خارج الطبيعية» هي الأمراض وأسبابها وأعراضها. تحدثنا عن ذلك عندما تحدثنا عن علم الأمراض. تبقى «الأشياء غير الطبيعية»، وهي منطقة واسعة جداً خصص لها المجوسي كامل القسم الخامس من أول جزء من كتابه². يشرح أن هناك ستة أشياء ضرورية جداً للإنسان كي يحافظ على حياته: 1- الهواء حولنا. 2- الحركة والسكون. 3- الأكل والشرب. 4- النوم والصحو. 5- الطرح والحفظ التي ينتمي إليها أيضاً الحماّم والجماع. 6- أمزجة الروح- السعادة، الغضب، الحزن وأمثالها. هذه الأشياء ليست طبيعية أو غريزية مثلما هي العناصر والأخلاط والأرواح، ثم إنها ليست «خارج طبيعية» أو أجنبية عند الشخص؛ لأنها

تشمل ما هو الشخص الآن. إذا استعملت في الواقع كما ونوعاً استعمالاً صحيحاً وفي الوقت والترتيب المناسبين فإنها تحفظ «الأشياء الطبيعية» في الظرف المناسب. لذلك فهي تضمن صحة الجسم، إلى أن يخضع الجسم للتآكل الطبيعي، أي الموت بسبب تقدم العمر.

لكن يجب التعامل تعامللاً مختلفاً وعلى انفراد مع هذه الأشياء الستة. على سبيل المثال، إذا كان للجسم مزاج معتدل، فإن صاحب ذلك الجسم يجب أن يعيش طريقة متوازنة في الحياة. الهواء الذي يشبه هواء الربيع ملائم له، يجب أن يمارس التمارين الرياضية باعتدال، وأن يغتسل بماء دافئ وسطياً، ويجب ألا ينام نوماً ضئيلاً أو مفرطاً، ويجب أن يمارس الجماع فقط عندما يحس بالسعادة والنشاط عندما لا تكون معدته ممتلئة أو فارغة كثيراً، وعندما لا يكون يشعر بالبرد أو الحر. أما فيما يتعلق بالأجساد التي تشذ عن التناسب الصحيح، فإن طريقة الحياة المتبعة يجب أن تشذ عن النسب الصحيحة إلى الدرجة المناسبة ولكن في الاتجاه المعاكس. عندها يصح الخطأ وتستعاد النسب الصحيحة. على سبيل المثال، إذا قام شخص ذو مزاج ناري بكثير من الأعمال الجسدية، فإنه يزيد الحرارة غير الطبيعية في جسده، وسوف يؤذيه ذلك، ويضعف قواه ويسبب ارتفاعاً في الحرارة. إذا قام بقليل من العمل فقط، فإنه يوازن حرارته الغريزية؛ وذلك يشجع الصحة والقوة في جسده.

تظهر هذه الملاحظات النظرية التي قدمها الجوسي مدى اختلاف مفاهيم العصور الوسطى عن مفاهيمنا الحالية. تعدد أمور خيالية

صرفة مثل العناصر والأخلاط والروح ضمن «الأمور الطبيعية»؛ إنها تكوّن علم وظائف الأعضاء في المعنى الحقيقي، في حين كان يعد التنفس والأكل والتغوط والنوم والصحو، التي نعدها عمليات فيزيولوجية أساسية، «غير طبيعية». لن نناقش هنا كيف نشأت هذه التعبيرات في التفكير القديم³، لكن يكفي القول: إن حنين والمجوسي قد استعملها لشرح حقل الأغذية الواسع وللحياة الصحيحة السليمة. بالطبع فإن التنفس والهضم هي أيضاً عمليات فيزيولوجية في نظر أطباء العصور الوسطى. إذا عدّدت هنا ضمن «الأشياء غير الطبيعية» مع الحركة وبقية أقسام الأمزجة النفسية فإن التركيز يكمن في التحكم الواعي المعقول بهذه العمليات. الإنسان حر في رسم طريقة حياته؛ لذلك فإن الصحة والمرض تعتمد على سلوكه. وبالمقارنة بالحياة الغريزية للحيوان، نجد أن هذه الأشياء الستة هي حقاً في الإنسان «غير طبيعية».

هناك أمر آخر يتضح أيضاً: قال المجوسي: إنه عندما يشذ الجسم عن النسب الطبيعية، يجب اتباع نمط حياة تشذ عن النسب الصحيحة إلى النسبة نفسها ولكن في الاتجاه المعاكس.

لذلك يجب توجيه نمط الحياة على مبدأ «الضد بالضد». هذا مبدأ علاجي يقول: إن الأغذية تصبح وسائل علاجية مهمة مع الجراحة والأدوية. يمكن أن يعود المريض سليماً بمجرد تغيير نمط حياته⁴. لذلك يفضل الأطباء في كثير من الأحيان وصف الطعام؛ لخوفهم من الآثار الجانبية للأدوية.



الخروج من جذور اليبروح. وفق كتاب طب لاتيني. Codex Ser. nov.2644,f.40r
(مكتبة النمسا الوطنية)

تتبع قائمة الأشياء الستة غير الطبيعية الطب القديم. أخذت هذه الأقسام الستة للفاعليات الحيوية في الحسبان في النظام الدوائي الذي رتب فيه أبقرات وصفاته⁵. كتب العرب كتباً كثيرة عن الصحة. نشرت كتب عولج فيها كامل موضوع الصحة مثل كتب قسطا بن لوقا، وإسحاق بن عمران، وابن الجزار، وابن سينا، وابن بطلان (كتاب تقويم الصحة) وفخرالدين الرازي، والبرقمانى، وابن القوف، ولسان الدين بن خطيب وآخرين. هناك إلى جانب هذه الكتب كتب مخصصة لمرضى معينين. فقد كتب ابن المطران وابن ميمون نظاماً صحياً خاصاً لصلاح الدين أو ابنه نور الدين. تتعامل كتب أخرى فقط مع أقسام من الأغذية: كتب حنين بن إسحاق، ومحمد بن زكريا الرازي، وإسحاق الإسرائيلي، وابن زهر والسمرقندي وآخرين عن الأطعمة. أخيراً هناك سلسلة من النصوص القصيرة عن «طريق حياة المسافر» وعن «زيارة الحمام» وعن «الزهورات» وغيرها. تنتمي كتب «الجماع الجنسي» إلى هذه المجموعة أيضاً؛ أحياناً يقتصرون على العقارات والأطعمة المثيرة للشهوة وأحياناً يقتربون من الإباحية. مهما يكن، تدل غزارة الأدب المكتوب على الأهمية المولاة للأطعمة في طب العصور الوسطى.

سوف نصف في الصفحات الآتية الصفات المميزة لكتابات مصدرنا الأساسي، كتاب الملكي للمجوسى.

يعطي المجوسى حيزاً واسعاً لشرح أنواع «الهواء» في القسم الأول. يغير الهواء المستنشق مزاجنا: يجعل الهواء النظيف النقي أخلاطنا وروحنا نظيفة ونقية؛ أما الهواء الرطب وغير النقي فيؤثر تأثيراً معاكساً. لذلك

يجب على الطبيب أن يلاحظ صفات الهواء وتغير الفصول كما يعلم أبقراط في كتاب الهواء والماء والمكان. يهدد الهواء الفاسد بحصول أمراض وبائية والطاعون. نوقش هذا في الفصل السادس.

خصص القسم الثاني من «الأشياء غير الطبيعية» للنشاط الجسدي والراحة. يميز المجوسي هنا بأسلوب جاف جداً بين الخفيف والثقيل والجزئي والكلي والحركات الفاعلة والمنفصلة وبين الحركات التي يجريها الشخص في أثناء عمله والنشاط الذي يصفه الطبيب، أي الأنشطة التي تشمل الملاكمة والجري وألعاب الكرة وركوب الخيل وصعود الجبال وغيرها. يجب أن توصف هذه الأنشطة بدقة بحسب حرارة الجسم. بحث الحمّام الذي ينتمي في الواقع إلى قسم التخلص من الفضلات هنا؛ لأن الشخص السليم يتحمم بعد النشاط أو الجهد الجسديين؛ كي يخلص نفسه من المكونات التي لم يتخلص منها عبر الحركات الجسدية، وأكثر من ذلك، للتعويض عن جفاف الجسم الذي حصل نتيجة الحركة، وأخيراً حتى ينقى الجسد من القذارة. أفضل وقت لزيارة الحمام هو بعد العمل وقيل تناول الطعام (هذا يفترض أن الشخص يتناول الطعام مرة واحدة في اليوم، مساءً). إذا اغتسل الشخص بعد تناول الطعام، فإن الرأس يمتلئ بالفضلات ويغوص الطعام غير مهضوم ويسد طرق الطعام، وبذلك قد يحصل داء الاستسقاء على الأمد البعيد. يختلف الأمر إذا كان الشخص يتمتع بجسد منسوج رخو مع فتحات واسعة تسمح بالتخلص من فضلات الجسم.

يتعامل في القسم الثالث مع الأكل والشرب. ويعرف مفاهيم الأدوية والتغذية، حيث يميز بين أربعة أصناف: 1- الأدوية بالمفهوم المطلق هي مواد يبدها الجسم في البداية لكنها تعود لتبدل الجسم وتحوله إلى أمزجته؛ 2- السموم القاتلة هي المواد التي تغير الجسم وتسيطر عليه دون أن يستطيع الجسم مقاومتها؛ 3- المواد الغذائية الطعمية تتحول أولاً في الجسم إلى أن يكتسب الجسم السيطرة عليها وتحولها إلى طبيعتها هي؛ ينتمي مثلاً إلى هذه المجموعة الخس والزهورات والبصل والثوم؛ 4- أخيراً، الأطعمة الخالصة، هي الأطعمة التي يغيرها الجسم ويحولها إلى مادته هو. لدينا إذاً هنا تنظيم منهجي لتعاليم جالينوس التي تغير بحسبها الدواء الجسم، في حين يزيد الطعام من ناحية أخرى مادة الجسم⁶. يراوح الطيف عند المجوسي بين «المواد الطعمية» عبر «المواد الطعمية الدوائية» و«الأدوية» وصولاً في النهاية إلى «السموم». يناقش المجوسي كل هذا مرة أخرى في فصله عن الأدوية.

ما سنقره الآن هو دراسة علمية عن التغذية مصنفة ومرتبة جيداً، يصف فيها خواص وأمزجة ودرجة تأثير أنواع الحبوب والنباتات البقولية والخضراوات والمحاصيل الجذرية والفواكه وأنواع اللحم وأنواع الحليب والعسل واللحوم أو المياه أو الأشربة الحلوة والأعشاب العطرية والعطور. تظهر رقة هذه المعالجة السلوكية أكثر وضوحاً في حقيقة أن العطور أيضاً مشمولة في دور الحياة. يقال: إن المسك دافئ وجاف في الدرجة الثالثة، وإنه يهدئ القلب ويقويه عند الأشخاص ذوي المزاج البارد؛ ثم إنه يقوي الأعضاء الضعيفة. إذا تشقه الشخص مع

الزعفران والكافور فإنه يساعد على منع حصول شلل العصب الوجهي والصداع المرافقين للبلغم؛ ثم إنه يقوي الدماغ البارد.

أخيراً فإن اختيار مادة اللباس مهم؛ لأنه يؤثر في مزاج الجسم. تبرد الثياب الكتانية حرارة الجسم خاصة إذا كانت مغسولة أنفاً؛ وإذا كانت ملبوسة سابقاً مدة من الوقت فإنها تدفئ الجسم قليلاً. كلما كانت المادة القطنية أنعم زادت قدرتها على تدفئة الجسم؛ يجب ارتداؤها في الصيف. لكن لكثير من النسيج تأثير علاجي مباشر؛ الحرير دافئ؛ وهو جيد للجسم وجيد للظهر والكليتين.

يتعامل القسم الرابع مع النمو والصحو، وهو قسم قصير وضعت فيه النظرية الآتية: يأتي النوم الطبيعي عندما يكون الدماغ رطباً باعتدال، أي عندما تصعد الأبخرة الجيدة النقية الرطبة إلى الدماغ بسبب تناول الجسم الطعام. (أيضاً هنا الوجبة الوحيدة كل يوم مساء). يخدم النوم غرضين مزدوجين؛ إنه يهدئ الدماغ والحواس وجميع الوظائف النفسية؛ لكن الوظائف الحيوانية الطبيعية مثل التنفس والهضم تستمر في عملها. الوظيفة الثانية للنوم هي هضم الطعام ونضج الأخلاط. تنتشر الحرارة الغريزية عند النوم إلى عمق الجسم؛ كي تسهل هضم الطعام وتسمح بنضج الأخلاط. لذلك يكون الهضم أفضل في الشتاء حيث يطول الليل وزمن النوم. يجب أن يفكر في وضع عادات نوم منظمة. يستنفد النوم المفرط القوة النفسية ويبرد الجسم؛ وهو يزيد البلغم ويضعف الحرارة الغريزية. يضعف النوم المفرط في قلته التنفس والهضم، ويجفف الجسم.

يبدأ القسم الخامس الذي يتعامل مع الأنواع المختلفة للإطراح يبحث التعايش الزوجي. هدف هذا التعايش هو الحفاظ على الأنواع، وهو مرتبط بشعور بالسعادة؛ لأن معظم البشر وجميع الحيوانات تسعى وراء اللذة لا وراء النسل. يتشكل المنى في الجسم إفرازاً، لكنه لا يقارن بالإفرازات الأخرى كالبلغم الأنفي واللعاب والعرق والبول؛ لأنه يأتي من أفضل مواد الجسم، أي من الدم النقي الصافي، الذي تتغذى به الأعضاء النبيلة. إذا بالغ الشخص في الجماع فإن قدرته ستضعف وسينحل جسده وسيبدأ بالارتعاش؛ لأن الأعضاء الجنسية كي تشكل منياً جديداً تجذب الدم المخصص لتغذية الأعضاء النبيلة. من ناحية أخرى، فإن الجسم يعاني أيضاً عندما يتجمع في الأوعية ولا يفرغ. جميع الفضلات الأخرى يجب أن تفرغ. إذا لم يحصل الجماع يحصل دنس. لكن إذا لم تكن الطبيعة قادرة على إنتاج الدنس، فإن الفخذين يتشنجان ويصبح الجسم بليداً، وقد تحصل الحمى في الحالات الشديدة. أحياناً فإن البخار الذي يحصل من المنى المتعفن يصعد إلى الدماغ ويمكن أن تحصل عواقب سيئة مثل السوداوية على سبيل المثال. لذلك فإن الجماع معالجة فاعلة للسوداويين. باختصار، إذا مورس الجماع بحكمة فإنه يساعد في الحفاظ على الصحة السليمة ويمكن أن يشفي بعض الأمراض.

الحالة مماثلة في الإفرازات والفضلات الباقية، أي البراز والبول ودم الطمث. إنها تؤذي الجسم عندما تتحصر، أو عندما تخرج من الجسم بسرعة مفرطة. إذا حصر البراز فقد يحصل مغص وإسهال

ونوب إسهال وفقدان الشهية أو زلة تنفسية. إذا كان الطرح مفرطاً فإن الجسم يصبح ضعيفاً لا قوة فيه.

أخيراً، يتعامل المجوسي في الفصل السادس مع أمزجة الروح وتأثيرها المسلم به في الجسم. إنها قادرة على إحداث الأمراض شأنها شأن أي أمر آخر، ولذلك يجب السيطرة عليها. كل من يغضب لأدنى سبب حزين أو خائف أو مشكك قد يصاب بأمراض خبيثة وقد يموت. أما من كان يستطيع من ناحية معاكسة أن يسيطر على مزاجه ويثبته برجاحة عقله فإنه نادراً ما يصاب بالمرض.

لقد أطلعنا في ذكر تعليقات المجوسي على الأغذية؛ لأنه يتضح فيها جداً مرة أخرى أن نظام الطب العربي نظام متكامل في نفسه. يمكن تفسير جميع المظاهر الحيوية بدقة كافية باستعمال مفهوم الحر والبرد والدم والبلغم والقوة الماسكة والدافعة. قد تبدو هذه التفسيرات لنا ساذجة، وقد يبدو النظام مفرطاً في منهجيته. لكن قواعد الحياة هذه منطقية جداً، بحيث إنها يمكن أن يقبلها القارئ الحديث. تبرز فكرة الاعتدال القديمة في كل مكان. لقد وضعت بصمتها على نظام الأغذية وضمنت نجاحها عبر القرون والألفيات.

الأدوية

ظهر في الفصول الماضية أن العلاج مقسم تقليدياً إلى ثلاثة أقسام هي: الجراحة والأغذية والأدوية. ربما كان للحقل الأخير أكبر أهمية عملية في طب العصور الوسطى، لكن الصيدلة أيضاً مقسمة

تقسيماً حاداً إلى قسمين مختلفين؛ استعمال الأدوية البسيطة والأدوية المركبة. كتب جالينيوس كتاباً كثيرة عن الأدوية البسيطة والأدوية المركبة في كتاب عن الأدوية والأمزجة والقوى البسيطة، وكتاب عن تركيب الأدوية بحسب المكان في الجسم وبحسب أنواعها. حدد هذا النموذج الأدبي كامل الأدب الصيدلي العربي وهو أدب ضخم لا حد له. يمكن تحديد أكثر من مئة كاتب كتبوا عن المواد الدوائية. لكن عدداً قليلاً منها فقط كتابات أصلية وإنجازات مستقلة. معظم الكتب هي تجميع ولا يوجد حقل أدبي كان فيه النقل أكثر منه هنا. لذلك فإن ألبخت فون هيلر ليس مخطئاً تماماً عندما يقول عن الكتاب العرب: «جميع العرب نسخوا عن نسخ، وإذا قرأ الشخص كتاباً عن النباتات فكأنه قد قرأ الكتب كلها»⁸.

لكننا لا نبحث هنا الكتب العربية الحديثة. يكفي القول: إن ديوسقوريدس كان أعظم كاتب بلا نزاع، وإن أعماله قد ترجمت عدة مرات وشرحت، وإن علماء مهمين مثل ابن جليل وابن الجزار وابن ريحان والبيروني وأبي عبيد البكري والفيلسوف ابن باجا والجغرافيين الإدريسي وعبد اللطيف البغدادي قد نشروا جميعاً كتباً عن الأدوية إضافة إلى أعمالهم الأخرى. نريد هنا أن نناقش بعض الاقتراحات في نظرية الأدوية البسيطة، متبعين المجوسي مرة أخرى⁹.

يجب على من يعالج الأمراض أن يعرف قوى الأدوية البسيطة وأفعالها ومنافعها. للقوى ثلاثة أنواع: «القوى الأولية» هي خلائط أو أمزجة الأدوية. «القوة الثانوية» تنتج عن الأمزجة؛ وهي تشجع النضوج،

حيث إنها تطري أو تصلب أو تسد أو تفتح أو ترخي أو تزيل الألم... إلخ. «القوى الثالثة» تجعل على سبيل المثال الحصى في المثانة تتفتت، وتخرج البول والطمث، وتساعد على خروج البلغم وتنتج المني والحليب.

لكن كيف يمكن للشخص أن يعرف أن دواء معيناً له مزاج محدد، وقوة وفعل محددين؟ لذلك يسأل المجوسي عن «القوى الأولية». هناك ستة قوانين تفحص بها الأدوية. أول وأكد الطرق هي اختبارها على جسد مريض وآخر سليم. لكن يقول جالينيوس: إن هناك ثمانية شروط يجب تحقيقها للقيام بذلك: أ- يجب أن يكون الدواء خالياً من أي صفة طارئة. ب- يجب أن يكون المرض بسيطاً لا معقداً. ج- يجب معالجة الأمراض المعاكسة بالدواء. د- يجب أن يكون الدواء أقوى من المرض حتى يمكن رؤية أثره بوضوح. هـ- يجب ملاحظة طول المدة الزمنية التي تظهر فيها الآثار المعاكسة حتى يستطيع المرء تحديد أي من التأثير مجرد تأثير طارئ. و- يجب رؤية هل تأثير الدواء نفسه لدى الجميع في جميع الأوقات؛ إذا كان ذلك، فإن الأثر يكمن في طبيعة الدواء؛ وإلا فإن الأثر مجرد أثر طارئ. ز- يجب رؤية هل تأثير الدواء خاص في البشر؛ يمكن أن يكون للدواء تأثير مختلف في الحيوانات. ح- يجب التمييز بين الطعام والدواء؛ الدواء يسخن الجسم بخواصه، أما الطعام فيسخنه بكامل مادته.

تتألف الطريقة الثانية من فحص هل يتحول الدواء بسرعة أم بصعوبة. يعطي ذلك معلومات عن حرارة مزاجه. إذا قرب من النار وتحول بسرعة إلى دخان، فكمونه حار.

يمكن بالوسيلة الثالثة، وهي ملاحظة سرعة أو بطء ذوبان الدواء وتجمده، معرفة معلومات عن برودة مزاجه. إذا أخذ المرء دواءين متماثلين في خشونتتهما أو نعومتتهما، فإن الأسرع قساوة بينهما هو الأبرد.

تتألف الطريقة الرابعة من فحص الدواء بفحص طعمه. هناك ثماني خواص للطعم: الحلو، والدمسم، والحامض، والمر، والحريف، والمالح، والصفراوي، والقابض. كل ما هو حلو له حرارة متساوية، لذلك فهو يسبب البلادة والنضوج دون فرط في التسخين. كل ما هو مر يشبه التراب. لذلك فهو ينظف الأوعية ويفتح الانسدادات ويدفئ قليلاً. كل ما هو صفراوي أو قابض بارد ويشبه التراب. لذلك فهو يسمك المسام ويبرد.

لا يمكن الاعتماد كثيراً على الطريقة الخامسة، وهي فحص الدواء بفحص رائحته، بالمقارنة بالطريقة السابقة؛ هناك من ناحية عدة أشياء لا تعطي رائحة، وهناك من ناحية أخرى أشياء مؤلفة من عدة عناصر. رائحة الورود زكية على سبيل المثال، لكن طعمها مر أحياناً وصفراوي أحياناً ومائي أحياناً أخرى. إنها غير متشابهة الأجزاء، ولكن لها قوى مختلفة: المرار فيها حار وناعم، الصفراوي خشن وبارد، والمائي خالٍ من الطعم ومتوسط بين الخشونة والنعومة.

أخيراً هناك الطريقة السادسة، وهي الحكم على الدواء من لونه. ليس لهذه الطريقة أهمية كبيرة؛ لأنه يمكن مع كل لون وجود مزاج حار أو بارد أو رطب أو جاف. أكثر ما يمكن قوله هو: إن أدوية معينة أقل حرارة إذا كانت بيضاء، وإن لها من جهة أخرى حرارة أكثر إذا

كانت حمراء أو سوداء. تعتمد هنا شدة الخواص على درجة نضج الفاكهة أو البذرة.

يكتسب المرء معرفة عن «القوى الثانوية» إذا عرف قياس مزاج كل دواء على انفراد. مزاج الأدوية «الحارقة» له أعلى درجة من الحرارة ومادتها خشنة. إذا طبقت على الجسم، فإنها تخترق الجسم بسرعة بفضل قوة الحرارة ويمكن أن تبقى فيه؛ لأنها خشنة. يمكن أن يرى المرء ذلك في الكي. الأدوية التي تسمح للجروح بأن تقشر وتشفى هي الأدوية التي تقوي وتجفف اللحم، وتحوله إلى ما يشبه الجلد. لذلك يجب أن تكون هذه الأدوية قابضة وأن تكون جافة باعتدال.

لا نتعلم من المجوسي كثيراً عن «القوة الثالثة». إنه يقول فقط: إن الأدوية تطبق فعلها عن طريق القوة الثانوية باستخدام المزاج.

يعطي أمثلة بدلاً من أن يعطي تعريفاً: الأدوية التي تقتت الحصى في المثانة حارة وتوقف الأخلاط الخشنة؛ لكن الحرارة يجب أن تكون خفيفة؛ لأن طرق إحداث الحرارة والجفاف الشديدين هي نفسها التي تسمح للحصى بالتشكل. لذلك يأخذ المريض جذور الهليون وعود الصليب وأشباهاها.

هذه أساساً نظرية جالينيوس. أصر جالينيوس على أن القوى «الأولية» أو الخواص يمكن أن تقلل من الشعور بالحواس. لكن الأمر الحاسم عند الحكم على علاج هو تأثيره في الشخص. يتكلم جالينيوس

أيضاً عن قوى «ثانوية» و«ثالثية»، لكن الأخيرة تؤدي دوراً ثانوياً. إنها نتائج تحصل عندما يطبق الدواء ويحدث ارتكاسات جسدية معينة.

يثير الانتباه أن المجوسي يعطي أحياناً درجة تأثير الدواء، لكنه لا يقدم نظرياً سلباً للدرجات. يتوافق ذلك مع طريقة جالينيوس فيما يتعلق بالدرجات أو العلامات، حيث إنه بحسب أحدث الدراسات عنه لا يعطي أكثر من بضع ملحوظات¹⁰. تضيع في القائمة الطويلة للأدوية البسيطة التي يعرضها المجوسي بعد الفصل التقديمي تفاصيل الدرجات. نستطيع أن نتحقق أنه لم يختبر على الإطلاق ما قاله جالينيوس عن قوة الأدوية الفردية أو تأثيرها العلاجي. لكننا نستطيع أيضاً أن نشكك إذا كان العرب قد أخضعوا الأدوية الجديدة الكثيرة ذات الأصل الشرقي أو الهندي غير المعروفة لدى اليونان للفحص بحسب معايير جالينيوس. يفترض أنهم قد اعتمدوا على ما تذكرته خبرة الأطباء أو التقاليد الهندية المأثورة عن هذه الأدوية. لذلك بقيت معايير جالينيوس نظرية مية عامة عند العرب. أخذوها من القدماء ونقلوها لمن بعدهم، ومثل كثير من طبهم، كانت معلوماتهم مجرد معلومات كتب.

